

أحمد بازِرُ

مجموعة
قصصية

أسرار الأُلم

أسرار الآلهة



اسم الكتاب: أسرار الألم

اسم الكاتب: أحمد بازز

نوع العمل: مجموعة قصصية

الرقم الدولي EBIN: 16-1-381-250603

الناشر: دار بسمة للنشر الإلكتروني

الطبعة الأولى: 2025م / 1446هـ



دار بسمة للنشر الإلكتروني



00212771814934



دار بسمة للنشر الإلكتروني (المغرب)



Darbassma1@gmail.com



المملكة المغربية

كل الحقوق
محفوظة

دار بسمة للنشر الإلكتروني تُقدم جميع خدمات النشر، ولا تتحمل أي مسؤولية تجاه المحتوى، إذ إن الكاتب وحده هو المسؤول عن نتاج فكره.. كما لا يجوز بأي صورة نشر أو إعادة طبع أي جزء من هذا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو كان، أو بأي طريقة سواء كانت إلكترونية أو بالتصوير أو خلاف ذلك، إلا بموافقة خطية من الناشر أو المؤلف. ©

أسرار الألم

مجموعة قصصية

أحمد بازز





الإهداء:

إلى أرواح الشهداء الذين قضوا نَجْبَهُمْ وهم يصارعون الألم..
فصبروا واحتسبوا، نحسبهم كذلك، ولا نزكي على الله أحداً.
إلى الأرواح الطاهرة التي لَبَّتْ نِدَاءَ باريها.. وأحبت لقاءه بعد مرضٍ
وهزال.
إلى الأجساد الصابرة التي تحوّلت من وضع إلى آخر، ولم يشهها ذلك
عن الرضا والحمد والشكر.
إلى روح أمي الغالية "رحمة" التي قضت في مرضها نصف مرض
أيوب -عليه السلام- صابرة محتسبة.
إلى روح أستاذي فريد الأنصاري -رحمه الله- الذي دعا ربه معافياً
ومريضاً، حياً وميتاً.
أهدي هذا العمل نصيحة وسُلوأنا لمرضاننا ومرضى المسلمين في
مشارك الأرض ومغاربها.



قال الله تعالى:

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ
وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ سورة يوسف: الآية 3.

"نَقْلُ الْوَاقِعِ بِلُغَةِ الْأَدَبِ خَيْرٌ مِنْ كِتَابَةِ الْخَيَالِ بِلُغَةِ الْوَاقِعِ.."

أحمد بازرز

تقديم

أضع بين يديك أيها القارئ مجموعة قصصية ستجعلك في الطريق الصحيح لتتعلم كيف لا تتألم...

وتتعرف على أسرار الألم...

أتوجه بتاج من أحسن القصص..

مرصع بمبادئ الرضا والصبر والاحتساب، وهي قصة النبي الأواب أيوب عليه السلام.

إن الإحساس بالآخرين لن يتأتى لك إلا إذا كنت معهم.. إلى جانبهم، تشهدهم في مواقف مختلفة، فتفرح لأفراحهم، وتتأثر لأحزانهم..

وعندما ترحل معهم في رحلة المرض تفتنح أنها تجربة تضعك أمام الأمر الواقع.. فيصبح الألم مألوفاً لديك، فتعرف ما معنى أن تعود

مريضاً وتؤنسه قليلاً.. هدياً وسنةً أرشدنا إليها الإسلام؛ فعندما تبشر المريض بالدعاء المبارك "لا بأس طهور ان شاء الله" (1)، يستبشر خيراً ويتفائل شفاءً.

لو أمعنت النظر أيها القارئ لوجدت أن الطيبين هم الذين يحتسبون ألم المرض صبراً.. فحياتهم وموتهم سيان -طاعة لله، في المنشط والمكروه- وبهذا سيتسلمون جوائزهم عند بارئهم، وينظرون إلى وجهه الكريم عياناً ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ (22) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ (23) ﴿(2)﴾، فينسيهم ذلك كلَّهم وغمٌّ وألم...

ويشربون من حوض الرسول الكريم شربة هنيئة مريئة لا يظمؤون بعدها أبداً، ويعيشون السعادة السرمدية في جنان الخلد.

الطيبون يرحلون سراعاً.. نفتقدهم، نحس بفراقهم، ويتركون فراغاً كبيراً في حياتنا.. ولقد صدق الرسول الكريم ﷺ حين قال:

(1) صحيح البخاري عن عبد الله بن عباس، حديث رقم: 7470.

(2) سورة القيامة: الآيتان 22، 23.

«مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ...» (1) مُسْتَرِيحٌ مِنْ تَعَبِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَالْأَمَمَا.. رُغْمَ أَنَّهُ يَتَرَكُ خَلْفَهُ حُزْنَ عَمِيقًا لَدَى أَقْرِبَائِهِ وَأَصْدِقَائِهِ...

أَمَّا الْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ، فَرَمَزَ لِمَنْ نَكَّدَ حَيَاةَ الْآخَرِينَ وَأَسَاءَ إِلَيْهِمْ وَاعْتَدَى
عَلَيْهِمْ فَيَسْتَرِيحُونَ لِفِرَاقِهِ.. الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا
وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ،
وَالشَّجَرُ وَالِدَوَابُّ".

قِصَصٌ أَبْطَالُهَا أَعْدَهُمْ عَلَى رُؤُوسِ الْأَصَابِعِ.. بَعْضُهُمْ مِنْ قِرَابَتِي،
وَالْبَعْضُ مِنْ صِدَاقَتِي، وَالْبَقِيَّةُ مِنْهُمْ سَاقَهُمُ الْقَدْرُ فِي طَرِيقِي..

إِذَا تَأَمَّلْنَا حَقِيقَةَ هَذِهِ الدُّنْيَا نَجِدُ أَنَّ الْيُسْرَ أَكْثَرَ مِنَ الْعُسْرِ، وَأَنَّ
الرِّخَاءَ أَضْعَافَ مِضَاعِفَةِ عَلَى الشَّدَةِ؛ لَكِنَّ الْإِنْسَانَ كَانَ عَجُولًا،
لِأَنَّهُ كَمَا قَرَأَ الْقُرْآنَ خُلِقَ ضَعِيفًا..

وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ يَبْتَلِي الْعَبْدَ بِالْمَرَضِ، صَالِحًا كَانَ أَوْ فَاسِدًا، طَائِعًا أَوْ
عَاصِيًا، امْتِحَانًا مِنْهُ -سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وَابْتِحَارًا، وَلِلصَّابِرِ عَلَيْهِ مَنَحٌ

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي الْأَدَابِ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: 9293. فِي الْأَحْكَامِ 1399،
وَالْإِمَامُ مَالِكٌ فِي الْمَوْطَأِ فِي الرِّفَاقِ حَدِيثٌ رَقْمٌ: 5435. <https://hadithm6.ma> انظر منصة محمد السادس للحديث الشريف.

كثيرة؛ درجات تُرفع، تكفيرٌ للسيئات، زيادةٌ في الحسنات، دخولُ الجنة.. وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (10) سورة الزمر، الآية 10.

وإن كانت العافية للمؤمن خير من البلاء والمرض.. فقدوتنا -عليه الصلاة والسلام- علمنا في غير ما حديث أن نسأل الله -تعالى- دائماً العفو والعافية في الدين والدنيا. فقد روى الترمذي عن العباس بن عبد المطلب قال: (قلت: يا رسول الله؛ علمني شيئاً أسأله الله عز وجل، قال: سل الله العافية، فمكثتُ أياماً ثم جئت فقلت: يا رسول الله علمني شيئاً أسأله الله، فقال لي: يا عباسُ يا عمَّ رسول الله: سل الله العافية في الدنيا والآخرة..)⁽¹⁾

قد يكون العبدُ ممن كتب الله له منزلةً عالية في الجنة؛ ولكنَّ عمله قليل، وزاده في الأعمال الصالحة يسير، وإرادة الله أن يصل إلى الدرجة التي كتبها له -سبحانه- في اللوح المحفوظ، فيبتليه ويصير إليها بصره على بلواه، ورضائه بقضاء الله وقدره، وفي الحديث: "إن العبد إذا سبقت له من الله منزلة لم يبلغها بعمله ابتلاه الله في

(1) صحيح أبي داود، وصححه الشيخ الألباني كذلك.

جسده أو في ماله أو في ولده، ثم صبره على ذلك حتى يبلغه المتزلة التي سبقت له من الله تعالى" (1).

وبالمثال يتضح المقال؛ فلو أردنا أن نُظهِر المعدن من الحَبث وضعناه في النار حتى يصير أحمرَ ثم أبيضَ، ثم نخرجه فنضربه ضرباً كثيراً وقويّاً حتى يطير منه الحَبث فيصير نظيفاً نقيّاً، فكذلك العبد المذنب إذا أراد الله أن يُظهِره من الذُّنوب ابتلاءً، ولن تزول بلواه إلا وقد غفر الله له وأعتق رقبته من النار..

فهذه الصحابية أم العلاء لما زارها النبي ﷺ في مرضها قال لها: (أبشري يا أم العلاء، فإن مرض المسلم يذهب الله به خطاياهم كما تُذهب النارُ حَبث الذهب والفضة) (2).

ومجمل القول في هذه الديباجة أن الإنسان المسلم إنما يتليبه الله على قدر إيمانه؛ قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلَبًا اشتد به بلاؤه، وإن كان

(1) الحديث رواه أبو داود، وصححه الألباني.

(2) الحديث رواه أبو داود. وأم العلاء هذه هي عمّة حزام بن حكيم رضي الله عنهم جميعاً.

في دينه رقة ابتلي على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه
يمشي على الأرض وما عليه خطيئة. (1)

وكتبه العبد الفقير إلى عفو الله ورحمته

أحمد بن سيدي بن عزيز في العطاوية - قلعة السراغنة

المملكة المغربية يوم: 14 ذو القعدة 1446 الموافق لـ 13 ماي

2025



(1) الحديث أخرجه الإمام أحمد، وصححه الشيخ الألباني، وفي رواية صلابة.

القصة الأولى

سِرُّ الْأَلَمِ مَعَ النَّبِيِّ "أَيُوبَ" عَلَيْهِ السَّلَامُ:

قال تعالى: "نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ (3)". يوسف، الآية: 3.

فالقصة في القرآن لِلْعِظَةِ وَالْعِبْرَةِ وَالْمُوَاسَاةِ، اقتداءً بِالْأَنْبِيَاءِ فِي الصَّبْرِ عَلَى الْمَكَارِهِ.

لذلك أَفْتَحُ هَذِهِ الْقِصَصَ بِقِصَّةِ أَيُوبَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، نَسْتَلْهِمُ مِنْهَا الْعِبْرَ وَنَتَعَطَّ بِمَا فِيهَا مِنَ الْعِظَاتِ.. وَعَلَى مَنَوَالِهَا نَسَجْتُ بَقِيَّةَ الْقِصَصِ، تَوْخَيْتُ فِيهَا الْوَاقِعِيَّةَ مِنْهَجًا، وَالْحِكْمِي الْأَدْبِي سَرْدًا.

لقد قِيلَ الْكَثِيرُ عَنْ مَرَضِ هَذَا النَّبِيِّ الْأَوَّابِ؛ التَّائِبِ الْمَسِيحِ الذَّاكِرِ الْمُسْتَغْفِرِ... فَلَا تَلْتَفِتْ إِلَيْهَا فَهِيَ مِنْ أَخْبَارِ الْأَسْفَارِ الْمَحْرُفَةِ فِي كُلِّ الْفُصُولِ وَالْأَبْوَابِ⁽¹⁾، تَسِيءُ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ وَلَا تَخْبِرُ عَنْهُمْ بِحَقَائِقِ

(1) هناك في الكتاب المقدس المزعوم من بين الأسفار المقررة سفر أيوب، جاء فيه: "فخرج الشيطان من حضرة الرب، وضرب أيوب بقرح رديء" .. ومثل هذه الأخبار لا نصدقها

الأمر، وإن أردت الصواب فحسبك في النبي القدوة موضعان من القرآن، هما الدليل والبرهان، تجعلك تعيش الوقائع كأنك تنظر إليها عياناً..

الموضع الأول: في قوله تعالى: في سورة ص ﴿وَأذْكَرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (41) ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (42) وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَى لَأُولِي الْأَلْبَابِ (43) وَخَذْ بِيَدِكَ ضَغْنًا فاضْرِبْ بِهِ وَلَمَّا تَحَنَّنَّا إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (44)﴾.

الموضع الثاني: قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (83) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَابِدِينَ (84)﴾.

أيوب عليه السلام نبي من سلالة إبراهيم الخليل ورد ذكره في القرآن الكريم في مواضع... فهو ممن أوحى الله -تعالى- إليهم.

ولا نكذيها، بل نقول -كما علمنا الرسول الكريم- ﷺ: آمننا بالذي أنزل إلينا وأنزل اليكم.

وقد أنعم الله عليه بكل النعم؛ الصحة والمال والأهل والأولاد... فكان عبداً صالحاً مصلحاً؛ لكنَّ الشيطانَ كما يقول ابن كثير: "سمع ملائكة الله يتكلمون عن كون أيوب الرجل الأكثر إيماناً في زمانه، نبي الله المختار ملتزم بالصلاة اليومية، ويدعو الله في كثير من الأحيان لشكره على إنعامه عليه بثروة وفيرة وعائلة كبيرة. لكن الشيطان يُخططُ لإبعاد أيوبَ عن خَشْيَةِ الله ويريدُه أن يقع في الكفر والفساد..." وهذا دَيْدَنُهُ مع كلِّ العباد.

ومرضُ أيوبُ هذا لم يسجَلِ التاريخُ مثله قطُّ، فقد مرضَ حتى عافه الجليسُ، وأوحش منه الأنيسُ، وأُخْرِجَ من بلده... وانقطع عنه الناسُ، ولم يبقَ أحدٌ يحنو عليه سوى زوجته... سُلِبَ كلُّ شيءٍ؛ المالَ والأولادَ والصَّحَّةَ بحيثِ ابتليَ في جسده بصنوفِ البلاء، وما سَلِمَ من جميع أعضائه إلا قلبه ولسانه، لأنَّ مصدرَ المرضِ حسدٌ من إبليس اللعين...⁽¹⁾، وكذلك تفعل الأبالسة الآدمية حسداً وعيناً بالأخيار..

ومع كل ذلك استجى نبيُّ الله أيُّوبُ -عليه السلام- أن يسأل الله رفعَ البلاء عندما طلبت منه زوجته ذلك، حتى يمضي عليه في

⁽¹⁾ انظر البداية والنهاية لابن كثير، ج 1، قصة نبي الله أيوب -عليه السلام- عن موقع

الشدة ما مضى عليه في الرِّخاء؛ وقد مضى عليه في الرِّخاء سبعون سنة، بينما قضى في المرض زهاء ثمانية عشر سنة ولما أنهكه المرض ووصل بهما الجوعُ مبلغَ الطوى.. وباعت زوجته ضفيقتها لتحصل على الطعام.. تأثر النبي أيوب -عليه السلام- لحالها.. هنا رفع أَكْفَ الضَّرَاعَةِ والدعاء إلى أرحم الراحمين: ﴿أَنِّي مَسْنِيَ الضَّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (83)﴾ سورة الأنبياء.

وشفأ الله لنبيه أيوب عليه السلام، إنما كان رحمةً منه تعالى وإكراماً له على صبره. ألم يقل المولى شهادة في حق عبده الطائع أيوب: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (44)﴾ سورة (ص).

وتركها موعظة خالدة في كتابه العزيز لأصحاب العقول النيرة؛ هكذا نستفيد جميعاً أن خاتمة الصبر دوماً هي الفرج وكشف الضر، إن كان في العمر بقية.



القصة الثانية

الرجل العظيم .. والصراع مع الألم.

عبد العظيم .. رجلٌ طيب، وطيبته عرفها أحمد عن كتب منذ الطفولة..!

زفَّ الأهلُ "سهام" الأخت، إلى زوجها وهي لأحمد بمثابة الأم والأخت معاً، اعتنت به منذ ولادته، فهو آخر العنقود..

وكانت مراسم الزواج والتحاق الأخت بزوجها بالنسبة لأحمد بمثابة سنوات في الزمن النفسي؛ لأنه لا يستطيع الفكاك عنها.

ولما هدأت الأمور زار أحمد أخته.. فتفاجأ بطيبة زوجها وروحه المرحه.. فكان يرافقه مثل ظله، أينما حل وارتحل، فهما أشبه ما يكونان بأب وابنه. وما يزال أحمد يذكر أنه ما تعرّف على البط والإوز إلا برفقته، ويعتقد أنه دجاج من عالم آخر يعيش تحت قنطرة واد إفران.

ولحسن الصدف فإن أحمد ولد في البادية التي تزوجت فيها أخته
ورحل عنها، ولكن بعد أربع سنوات عاد إليها وكأن الحنين أخذه
إلى مسقط رأسه "دار المعطي رحمه الله" في اغرم.

ازداد أحمد تعلقاً بزواج أخته في تلك السنوات التي قضاها معه.. إلى
أن فصلت بينهما المدرسة؛ فحيل بن أحمد وبين ما يشتهي.

وُلد لعبد العظيم الرجل الطيب غلام فكان بمثابة حلقة وصل بين
الأسرة الجديدة وأحمد، بحيث كان يقضي كل عطلة رفقته.. يلعبان
معاً.. يسبحان.. ويتمتعان بهواية صيد السمك.. يساعدان الأسرة
في أعمال الحقل ويستمتعان معاً، وهما يافعان في أرض البادية
النقيّة..

.. ما تزال أهاليه وأذكاره وتقليلاته تطرق الآذان: الأرض فدان
الله والعباد زراعها.. لا إله إلا الله.. لا إله إلا الله...

لا إله إلا الله.. نحن فيك يا دنيا.. كضيف حطَّ رحله.. بات وفي
الصبح رحل..!⁽¹⁾

(1) هذا الابتهاج بالأمازيغية: لا إله إلا الله نكا ذيكم أدونيث.. أمونجي نينسان اسكا
كلمان إدو زيك

ألم هذا المرض متعدد، يبدأ بالتنقل إلى المستشفى والانتظار والتحاليل.. والأعصاب في انتظار النتائج.. وهلمَّ جراً..

كان لطيفاً وصبوراً، لكنه لم يجد من بقية أسرته ما يكفي من العناية والرعاية.. زوجته وبناته..

فقد كانت زوجته وبنته الصغيرة يسافران للعمل — في الضيعات الفلاحية — في أماكن بعيدة ويتركانه وحيداً.. دون أن يجد من يُعِدُّ له الطعام.. ويجالسُه، من يعطيه الدواء ويؤنسه؟

وكانت أعضاؤها واهية، العمل العمل!

وهو الرجل الخجول، يرفض أن يذهب إلى بعض قرابته من الجيران استحياءً، بينما كان الآخرون من أبنائه في مدن أخرى حالت المسافات بين لقائهما إلا نادراً.. ظل ابنه البكر قريباً منه.. يتتبع حالته الصحية.. يستوصي به أهل البيت خيراً ويعاتبهم على الهجران.. لكنه لم يكن يرغب أن يرمي باللوم عليهم..

لما كان في البادية اشغل في بستانه بزراعة الخضر وجني الفواكه وبيعها في السوق.. برع في جني التين الشوكي؛ يبيع منه ويتصدق على العائلة في المدينة.. كان قنوعاً بما تجود به السوق، كما عمل على بيع الحطب في المدينة.

المهنة التي ذكرها النبي أنها خير من أن يمد الرجل يده يتكفف الناس أعطوه أو منعه.. هي حقاً شرف وتحفظ ماء الوجه⁽¹⁾.

إن سرَّ الصبر الذي رُزِقَهُ الرجل العظيم عبد العظيم مقابل الألم لم يأت من فراغ.. بل جاء من طيبة المعدن وفعل الخير، والرزق الحلال وحب الناس والأخلاق الحسنة.. وصلة الرحم التي ما توائ في وصلها؛ بزيارة أخواته وأخواله وعشيرته بيد سخية ووجه بشوش.. كان محبوباً يملأ البيت حديثاً سجيماً.. حكايات.. مغامرات فيستأنس به الجلوساء كما لو كان حكواتياً في جامع الفناء...

كل ذلك كان له عوناً على تحمل جبال الألم التي سببها هذا المرض الحبيث "السرطان".. اسمه فقط يُضعف المناعة ويصيبك بالدوار والغثيان.. بل قد يقتلك أحياناً..

الرجل الصبور" عبد العظيم" تحس به يتألم وهو يرمقك ببصره وأنت من جلسائه.. لم يُعرف بالتشكي لما أصابه، فهو يؤمن بأن التشكي ينبغي أن يكون لله وحده فهو القادر على تخفيف الألم أو اجتثاثه من أصله؛ وكأني أسمعُه همساً يقول:

(1) إشارة إلى حديث الحبيب النبي: "لأن يحتطب أحدكم على ظهره خير له من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه". متفق عليه برواية أبي هريرة.

إذا شكوتَ إلى ابن آدم إنما
تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحمُ

مجرد كتمان هذا المرض موت محتمل ومعالجته بالأشعة والأدوية
الكيميائية.. موت محقق!

مشيئة الله وإرادته أكبر من أي شيء.. من كان مع الله.. كان الله
معه.

كان عبد العظيم على دين الفطرة، ما فرط في صلاته..

لما كان في البادية كان يمتطي دابته ويمشي مسافةً طويلة ليحضر
صلاة الجمعة ولا يرجع إلا بعد أداء صلاة العصر..

ولما رحل إلى المدينة لازم المسجد.. فأصبح من أتاده.. سيما وأنه
قد وجد البيت في المدينة مثل القبر، تحيط به جدران أربع قيّدتُ
حرّيته.. حرية النظر والبصر الذي كان يطلقه بعيداً في رؤوس
الجبال والشجر وقطعان الغنم والبقر وفي السماء حيث السحاب
يصول ويجول في الأعالي يميناً وشمالاً، ويجود بالقطر للرّبي.. لوحات
جميلة ترسمها الطبيعة كل صباح ومساء مع شروق الشمس
وغروبها..

رغم أن ولديه ينفقان عليه وعلى بقية أفراد الأسرة مناصفة.. فلم يتخلَّ عن العمل.. فالعمل عبادة وشرف.. فيه يلتقي مع الناس.. يألف ويؤلف..

اتَّخذَ عربة يدوية ينقل بها البضائع للناس من السوق إلى منازلهم، ولم يَأبه بما يقوله أبنائه لشرف ما يعمل.. ولأن سيد الناس خادمهم كما يُقال..

كان يعمل ويتحرك يذهب ويجيئ والمرض ما تزال آثاره تنهك جسده الطاهر.. وبعد مدة.. عاود الداء زيارته بحدة أقعدته عن الحراك.. يتألم في صمت.. يحمد الله على كل حال.. يشكره على رؤية الأحباب والأصدقاء وعلى التفاف العائلة من حوله.. وكان ذلك كان توديعاً لروحه الطاهرة..

عاود العلاج، ولكن المرض إنما سكن لينتفض ويتشر في كل عرق بل رحمة ولا شفقة..

أضحى طريح الفراش يعودُه الناس فلا يجدون منه إلا قوة وثباتاً.. حامداً شاكراً راضياً بكل ما قدره الله وقضاه.. كان محبوباً حقاً عند الجميع، لأنه كان اجتماعياً ولم يكن انطوائياً كحال الكثير من أصحاب المصالح الخاصة..

إذا زرتة على تلك الحالة.. أمسكَ بيدك بقوة مبتسمًا مستفسرًا عن
قرابتك وحياتك وكيف تسير الأمور، وكأنه يسأل عن حياة أخرى
بلا تشويش ولا كدر..

كان كل أفراد أسرته معه قلبًا وقلبا، إلا الحقودة بنته الصغيرة التي
تعاملت معه بلا رحمة ولا عطف، نزعت عنه كل غطاء وثير
وافترشت له الحصير..

نزعت عنه جديد الدثار ورضيت له القديم والعار.. تتأفف عليه...
تصيح في وجهه..!

لمن تدّخرين هذا الفراش يا وردة العَلَمِ.. إن لم يستفد منه أبوك في
وقت الشدة والحاجة..!؟

بفعالها هذه ستنال جزاءها في الدنيا قبل الآخرة ولا شك، فإن الله
يُمهل ولا يُهمِل، ويُعجلُ عقوبةَ العقوق في العاجلة قبل الآجلة..!

كان قلبها عليه أقسى من الحجر.. فهو يكتّم هذا الإحساس ولا
يبيده لها.. ويترضى عليها.. لكن هي من العقوق أقرب إلى الرضا..
ولما قضى نحبّه والتحق بالرفيق الأعلى ادّعت حبه وأظهرته ادعاءً..
وبكت عليه عويلاً وصياحاً.. لكنه بكاء التماسيح عندما تريد أن

توقع بالفرائس في شراكها.. وكانت تردد: أبت.. أبت ومن لم
يسبق أن تعرف على طويتها، عن كذب، يحنو عليها ويرحم..

.. رحل الرجل المحبوب عبد العظيم الطيب وترك فراغاً كبيراً لدى
محبّيه من جهة، وفي البيت من جهة أخرى.. فأصبحت غُرفه خراباً
تسكنه العناكب والبوم.. بعدما كانت عامرة..

صبر في رحلته مع المرض، حتى وافته المنية، فترجو أن يبشّره الله
بجنة الفردوس الأعلى، وأن يكتبه عنده من الشهداء.. شهداء الألم.



القصة الثالثة

فاطمة.. امرأة من عيار ثقيل..

"فاطمة" لم تكن امرأة عادية كباقي النساء.. بل كانت امرأة طاهرة نقية؛ روحاً وهنداماً، أنجبت ستة من الأبناء سهرت على تربيتهم رُفقاءً زوجها الطيب الوقور، الذي تعلّمت منه كلَّ الخلالِ الحسنة، وحملتُ عنه، بعدَ وفاته، مشعلَ الصلّة.. صلة الأرحام..

ما من جمعةٍ إلا والسيدة "فاطمة" تنير بيتنا زيارةً.. هي سنة حسنة اعتادتها منذ وقت طويل..

تزور أقارب الزوج كما لو كانوا أقاربها.. زيارات خاطفة خفيفة، ولكنها تترك أثراً عميقاً لدى المزور..

ظلت على هذه الحال سنوات كثيرة، وهي بذلك استطاعة أن تربط جسور المحبة بين الأقرباء..

حتى أصيبت بورم "سرطاني" على مستوى الرأس... بتقدير الأطباء لن تعيش طويلاً؛ لكن بتقدير العزيز العليم أمر آخر..

حظيت المرأة الطيبةُ بزياراتٍ متتاليةٍ إلى الأطباء الاختصاصيين تحت إشراف أبنائها وبناتها البررة.. الذين رضعوا منها كل خُلقٍ حسن، وكانت لهم قدوةٌ في حياتهم..

وهاهم الآن في الخدمة ويقولون بلسان حالهم، اعترافًا في حق الوالدين:

﴿... رب ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾⁽¹⁾.

فالرَّحمةُ ههنا تتجاوز ما بعد الموت إلى الحياة، جزاءً على تلكم التربية الحسنة التي تنعمت الأسرة -برمتها- في ظلها الوارفة..

ورمَّ في الرأس ما أحال الأدوية توقفُ زحفُ هذا الوحش، سيما إذا كان على مستوى الرأس.. لولا لطف الله.

.. أصبح السرطان في جسمها كبركان نائم ساكن.. وخامد ينتظر متى يستيقظ ليرسم فوهته ويخرج بصهارته زحفًا على كل الأعضاء..

(1) جزء من آية قرآنية، سورة الإسراء، الآية 24.

الله أوقفه.. ليهب هذه السيدة حياة أطول... وطاقة أكبر لتحمّل
الألم.. أو يخفف من حدته..

قبل مرضها، أشرفت على تركة زوجها، وليست كباقي الزوجات،
فبيع المتزل، وتم تقسيمه شرعاً على الورثة.. ورضيت أن تبقى هي
الأخرى من تركة أبنائها تنتقل من الكبير إلى الصغير ومن الذكر إلى
الأنتى مُعلنة العدل بينهم في المنشط والمكره والترضي عليهم.. في
الدعوات.. في النظرات، وحتى العبرات..

مع هذه السيدة رأيت بأم عيني بشارات:

الأولى: بركة الرزق وطول العمر، ولعل حديث النبي يصدق ذلك:
"من أحب أن يُبسط له في رزقه، وأن يُنسأ له في أثره فليصل
رحمه".⁽¹⁾

طال عمرها ولا نسيان.. ولا خرف أو زهايمر..

الثانية: تُلَازِمُ وِرْدَها دائماً، تذكر الله كلما سَنحت الفرصة.. ما لم
يقطع لذة مناجاتها قاطع، وهي غارقة في لذة المناجاة.

(1) الحديث أخرجه البخاري، باب البر والصلة، حديث رقم: 2067، وأخرجه مسلم في
كتاب البر والصلة وتحريم قطيعتها، حديث رقم: 2757.

الثالثة: نظيفةُ الثياب.. خفيفةُ الظل، حتى على من كانت نوبته في القيام بشؤونها..

يشع نور الإيمان من وجهها.. تعرف كل من زارها وتفاصيل العائلات.. لم تنسَ من ماضيها الزاهر شيئاً.. حتى ولو أضحت طاعنة في السن؛ تتعرف عليك من خلال نبرة صوتك أو نظرة حانية.. وكأنها تفك شفرةً قد وضعت قواعدها في رحلتها الناجحة مع صلة الرحم.. أحبها الصَّغير.. بل الكبير.. والأقاربُ والجيرانُ.

الرابعة: ملامحها بقيت كما هي؛ لم يسقط لها شعرٌ ولم تفارقِ البَسْمَةَ مُحَيَّاهَا.

أقعدها الألم والمرض.. ودَبَّ الهُزال في جسمها بالكامل، إلا عقلها ولسانها، فلم يتسلل إليه الخَرْفُ ولا الكلام البذيء كما فعل بجُلِّ المرضى.. ألا تعجب معي أن ثَمَّةَ أيضاً أسراراً يضعها ربِّي في بعض خلقه.. وأوليائه ذكوراً وإناثاً..!

وكما كانت تزور الناس.. فالناس الآن يزورونها كما لو كانوا مدينين لها بديون أثقلت كواهلهم.. نعم لقد أرغمتهم على ذلك بالقدوة الحسنة..

عاشت حياة نقيّة ورضيَّة، وماتت ميتة سوية لتلتحق بالرفيق الأعلى
هي الأخرى شهيدة المرض.. بعد عشر سنوات من الألم..

الألم الذي.. خففته الطاعات وفعل الخيرات.. إنها الناصحة الأمينة،
رحمها الله رحمة واسعة.



القصة الرابعة

حفيظة، الروح الطاهرة..

عادت مع زوجها، بعد رحلة عمل تكلفت بالتقاعد، عاداً معها إلى المدينة التي تسكنها العائلتان..

كانت أصغر أخواتها، وأرقهن قلباً، وأكثرهن محافظة على الواجبات.. كانت محافظة -اسماً على مسمى- تحبُّ الخيرَ وأهله..

كلامها كله طيب، تحرص أن تزور أخواتها، وأن تكون حلقة وصلٍ بينهن..

في بيتها الفسيح والجديد، عاشت آخر أعوامها السعيدة، أنجبت أربعةً من الأولاد؛ أوسطهم بنت قرت بها العين كما لو كانت جوهرة وسط عقدٍ يحيط بالعنق.. تتفقدُها بين الفينة والأخرى لأنها ثمينة وباهظة الثمن.. وهذا لا يعني أنها لا تهتم بالذكور.. ولكن في نظرها المرأة أضعف من الرجل، وهي أحوج إلى رعاية وعناية زائدة..

بعد زواج فلذة كبدها هذه كانت تسهر على أبنائها، وتحضر مناسباتها من ولادة وعقيقة وجل أفرانها..

كانت محافظة على ذلك، لم تكن ترتاح لأغلب هذه المناسبات.. وما يتخللها من فرح بلا ضوابط..

وتقضي الأيام.. حتى زارها الألم فجأة على مستوى المعدة والجهاز الهضمي.. وتذكر أنها تناولت طعاماً فوجدت أثره السيئ في حينه، وكأن يداً خفية امتدت إليها بسوء.. ولكنها جعلت ذلك سرّاً لم تُفشه لأحد.

المعدة تعتصر الطعام، والألم من المعدة يعتصر "حفيظة، الروح الطاهرة".

فحوصات.. تحاليل.. أشعة.. رنين مغناطيسي.. مع أشهر الأطباء وأحسن المستشفيات وأرقى المصحات؛ لكن لا ينفع حذر من قدر..

أخفت العائلة مرض "السرطان" عليها رحمة بها.. لكن مع مرور الوقت بدأت مناعتها تنخفض وتدهور.. اعتادت الألم منذ بدايته، فعلمت في النهاية أنه المرض الخبيث..

المرأة التي كانت أكثر نضارة وبهاءً.. أصبحت نحيفة هزيلة.. كما لو
شهد عالمها مجاعةً عقداً من الزمن.

إذا زرقها لا تجد منها إلا لساناً شاكراً حامداً، تقول: "مرحباً بأمر
الله".

.. الحمد لله على كل حال.. لطف الله يتصرف... وأمثالها من
كلمات الخير بلا تسخُّط أو جزع..

خاضت تجربة مريرة مع العلاج والتحليل وانتظار النتائج خارج
مدينتها عند أصهارها..

للقرب من الطبيب ومكان العلاج..

تأمل أن يتحسن حالها، فخاضت تجربة الحمية في الطعام والشراب،
وكانت النتائج تحسناً يسيراً زرع الأمل في حياتها وشفائها..

صامت رمضان حامدة شاكرة.. جمعت الأهل والعائلة والجيران في
وليمة طعام.. وجلسة قرآن.. ودعوات تستمطر منها الشفاء من
الداء..

لكن كانت الجلسة كلحظة وداع لمعارفها وأقاربها..

رافقها زوجها في رحلة العلاج مكافحاً.. متحدياً كل العراقيل والصعاب، ولم يبخل عليها بشيء، فهي رفيقة دربه.. وأم أولاده وسنده بعد الله..

بعد هذه الاستراحة التي جدّدت عزيمتها ضد المرض والصبر للعلاج.. إنه البروتوكول العلاجي الأكثر ضراوة وفتكاً بمناعة الجسم؛ العلاج بالأشعة للقضاء على الخلايا السرطانية..

لكنه للأسف يقضي على الإنسان قبل السرطان..

سأت حالة السيدة الصبورة ولسانها الشاكر الحامد يخفف عليها وعلى الزوار..

فلا تشتكي إليهم كما يفعل أغلب المرضى، بل تقول: "أنا الآن أحسن حالاً من ذي قبل".. فتعطيك الأمل في الحياة.. وإن كانت في قرارة نفسها تعزيها..

حصلت حفيظة على نصيبتها من إرث أبيها.. فوضعت نُصَبَ عَيْنِهَا استكمال العلاج، وزيارة الأماكن المقدسة.. هنا تكتشف فعلاً أن الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى.. وإنما تُعرفُ الأشياءُ بضعدها.. كما يقال... وأشبه ما وجدت من الشعر لخالها، ما قاله بدر شاكر السياب:

لك الحمد مهما استطال البلاءُ

ومهما استبدَّ الألمُ

لك الحمد إن الرزايا عطاءُ

وإن المصيباتِ بعضَ الكرمِ

ألم تعطيني أنت هذا الظلامَ

وأعطيتني أنت هذا السحرَ؟

فهل تشكرُ الأرضَ قطرَ المطرِ

وتغضبُ إن لم يجدها الغمامَ؟⁽¹⁾

طال المرضَ حَوَّلينِ كَامِلينِ من الألمِ.. يخففه الرجاءُ.. ويلطفه
الأملُ..

(1) الإحالة: <https://www.aldiwan.net/poem24806.html>

موقع الديوان.

اسْتَكْمَلَتِ الْعِلَاجَ وَاسْتَكْمَلَ الْعَمْرَ دَقَائِقَهُ الْأَخِيرَةَ.. ففَاضَتْ رُوحَهَا
إِلَى بَارِيهَا... رَحْمَةً اللَّهُ عَلَى الرُّوحِ الطَّاهِرَةِ..

وَمَا زِلْتُ أُسْتَرْجَعُ ذِكْرَهَا.. فَتَفِيضُ عَيْنِي بِالدمْعِ حَزَنًا..

ولو نطقت بعد رحيلها لقلت:

تَقَاسَمِ الْأَهْلُ مِنْ بَعْدِي كُلِّ أَمْوَالِي

مِنْ حِلِّ جَمَعْتِهَا وَمِنْ إِرْثِ أَبِي

وَأَنْوَابِ جَدِيدَةٍ مَلَأَتْ بِهَا خَزَائِنِي

وَزِدِّ مَا جَمَعْتَهُ مِنْ حُلِيٍِّّ وَمِنْ ذَهَبِ

وَاتَّخَذَ الْبَعْلُ يَا قَوْمِي زَوْجًا لَهُ بَدَلِي

كَأَنَّ الْعَهْدَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَهُ عَدَمِي

وَاسْتَعْمَلُوا أَثَائِي مِنْ فِرَاشٍ وَأَنْبِيَةِ

وَكَلَّ شَيْءٍ نَالَ إِعْجَابِي كَعِطْرِ الْحَرَمِ



القصة الرابعة

الرشيد عبد الله.. الشاب الطيب..

شاب طموح تخرّج من الجامعة والأملُ يحدوه لمستقبل سعيد.. عاش ضد التيار.. بسبب المبادئ والقيم.. اختار طريقًا حسنًا، لكن مجتمعنا يريدك أيها الشاب أن تعيش حياة بلا ضوابط، وأن تتمتع بفترة الشباب وزهرة العمر، وأما الالتزام والتدين فيتماشى مع الشيب، وعندما تبلغ من الكبر عتياً..

درس وبدون منحة جامعية، عكس أقرانه وأترابه..

جدّ واجتهدَ وحصل على شهادة التخرُّج في غضون ثلاث سنوات. خاض في هذه المرحلة تجربة علمته الكثير عن معتك هذه الحياة المليئة بالتحديات، حاول جاهداً أن يعتمد على نفسه في تدبير ميزانيته الخاصة.. لأنه ما يزال تحت نفقة والده..

امتهن مهناً كثيرة.. لكنها كانت مؤقتة..

اشتغل مدةً لا يُستهان بها في مكتبٍ لاستخلاص فواتير الماء والكهرباء، هنا وجد مفارقة عجيبة بين الأغنياء والفقراء..

براتب زهيد يستغل أرباب العمل عمالهم لجني أرباح كثيرة..
لتكديس الأموال في بنوكهم.. أما العامل فلا ينبغي له أن يتغيب أو
يمرض أو أي طارئ يحول بينه وبين العمل..

كان جهوري الصوت.. ولطالما سبب له ذلك سوء تفاهم مع زبائن
المحل.. فقد أوصله مرّات كثيرة إلى العراق.. لولا عدوله.

اشتغل في مخبز لتوزيع الخبز، لكنه لم يدم طويلاً.. طرق أبواب
الوظيفة مرات عديدة لكن دون جدوى..

اشتغل مؤطراً في برنامج مَحَوِّ الأمية.. ثم مشرفاً.. حقق بعض
الكفاف.. هنا راوده الحلم كي يتزوج.. وعندما وجد نصفه الثاني
قرر أن يعزل عن أسرته.. لكن أعباء الزواج أثقلت كاهله، وزد
على ذلك ديناً لأمه تحمل ردهُ براً بها، في الوقت الذي تخلى عنها
الجميع.. ومن هنا بدأت معاناته..

كراء، مصاريف حياتية، سفر اضطراري، ثم أنجب طفلاً.. ازدادت
معه المصاريف حدة وثقلاً.. وهنا لجأ إلى الاستدانة..

استدان من معارفه وأصدقائه، واقترض من طلابه، واستعطف
صاحب المنزل لتأخير سداد ثمن الكراء.. أشهراً.. استدان من
المؤطرين أمثاله..

غلبه الدَّيْنُ وألحق به هموماً كثيرة، تكاد فروة وجهه تسقط حياءً، وقد صدق الحبيب النبي الذي قال فيه ﷺ: "... وأعوذ بك من غلبة الدَّيْنِ وقهر الرجال". (1)

ربما هذا كله هو النقطة التي أفاضت الكأس، وعلى إثرها اشتدَّ به الألم على مستوى رجله، بدأ يحس بألم يجر منه العروق والعصب، حتى إنه في حالة ذروة المرض لا يقوى الجلوس على الكرسي.. صبر على تلك الحالة مدة من الزمن يعزي نفسه بالحمد والشكر ومشية الله..

في بعض الأوقات يعتقد أن هذا الألم هو نفسه ناتج عن عرق النسا الذي يتحدث عنه الناس في الغالب، فيجعل نفسه إمعة: أنا مثل باقي الناس.. هذا مرض العصر.. أصبر وأحتسب...

لكن بعد زيارة الطبيب وإجراء التحاليل تبين أن الأمر أكثر من المتوقع..

كيف سيصل الخبر إلى مسمعه.. إلى زوجه.. إلى أهله وعشيرته..؟!؟

إن خبر المرض والإخبار به هو أشدُّ على المرء وقَعاً وألماً..

حديث رقم 6363⁽¹⁾ رواه أبو داود والبخاري بلفظ: ضلع الدين...

على كل حال وصل الخبر إليه.. أصابته صدمة كبيرة خففها الإيمان
بالقضاء والقدر.. "آخِرُهَا مَوْتٌ" كما يُقال باللسان الدارج..

بصيص من الأمل في العلاج هو الذي يجعلك تعمل فحصاً بعد آخر،
وتحليل تلو أخرى، وتَتَّبِعُ منتظم للطبيب..

لكن الشاب العاقل كان أملاً قوياً في الذي أنزل الداء، أن ينظر إلى
حاله، سيما إذا كان في العمر بقية..

ظلَّ الخبرُ حبيسَ العائلة والمقربين من الأصدقاء، ثم ذاع وانتشر كما
يفعل الداء الخبيث نفسه في الجسد..

تألَّم الجميع لحاله وأشفقوا عليه..!

زرتَه يوماً في بيته، ما كدت أتعرف عليه.. لولا إخبار أمِّه وأخيه
وزوجته وتأكيدهم لي أنه هو نفسه الرشيد عبد الله..

.. تغير كل شيء في جسده.. من رأسه إلى أخمص قدميه.. حتى
صوته باتت فيه بحجة يصعب بها فهمُ مقالته...

أفهم هممته بترجمة حركات رأسه.. بكَيْتُ بجرارةٍ وسالت على
خديّ الدموعُ والعبراتُ وكانت ساخنة، كمل لو كانت شظايا
وحُممَ بركان، لما آلت إليه حال هذا الشاب..

وما هي إلا أيام حتى قرع الخبر أذني كما تُقرعُ الطبول في الحرب؛
قرعاً بوفاته.. فدام الرنين في أذني أشهراً.. لم أصدق كأنه موت
فجأة.. ولكن المسكين لي نداء الجليل..

اختطفته يد الردى من بين أفراد أسرته الصغيرة والكبيرة، وأصدقائه
وطلابه... وسكان حومته..

ولئن مات مبكراً وفي ريعان شبابه، فقد ترك بُضعة من صلبه تَحُلِّدُ
ذِكْرَهُ إلى الأبد، وتُمدُّ جسور التَّعارف والوصل بين أقوام من وسط
البلاد وجنوبه..

فهو بحمد الله أفضل بكثير من أولئك الذين بلغت أعمارهم الخمسين
والستين وما يزال تأكل نطفهم الخلوات والجلوات...

عبد الله.. كان طيباً ومباركاً.. فبعد وفاته ظهر غرماؤه وأبدوا
سماحةً في حقه، ولم يستخلصوا جل ديونهم من عائلته، بل تعاونوا
معها على مصاريف العزاء.

كان موته فاجعة لأنه كان يعاني ولا يظهر ذلك، صبراً وتصبراً،
جعل الله قبره روضة من رياض الجنة.



القصة الخامسة

لقاء في المصححة.. أمي فاطنة..

في قاعة الانتظار دخل إبراهيم مع زوجته في انتظار دورهما لإجراء العملية للزوجة، ونظراً للاكتظاظ الذي تعرفه هذه المصححة فقد ضمت الغرفة ثلاثة مرضى، إبراهيم بمعية زوجته، ومي فاطنة مع إحدى بناتها.. ومريض آخر حان دوره للدخول إلى قاعة العمليات...

دخل إبراهيم إلى الغرفة مع زوجته، فسلمًا وألقيا التحية على الحاضرين في القاعة -والوقت وقت زيارة- كانت هناك من بينهم امرأة في عقدها السادس أو السابع رفقه بنتها اليافعة.. ولما جلس الداخلان صوّبت هذه المرأة بصرها نحوهما، وكانت شديدة الملاحظة.. تقرأ الوجوه وتتفحصها، وتفك شفراهما.. بل تعرف طبيعتها كما لو كان لها صلة بعلم القيافة⁽¹⁾.

(1) القيافة في القاموس هي اتباع الأثر. واصطلاحاً القيافة هي إحقاق الأولاد بآبائهم وأقاربهم، استناداً إلى علامات وإلى شبه بينهم، والتعرف على نسب المولود بالنظر إلى أعضاء جسمه وأعضاء والده، وهذا كان شائعاً في الجاهلية، لكن نهي عنه الإسلام...

انظر: [علم القيافة - ويكيبيديا](#)

تحدث إلى كل من دخل إلى الغرفة -يظهر بذلك أنها امرأة اجتماعية- سلم عليها إبراهيمُ وسألها عن حالتها الصحية... فشرعت تحكي التفاصيل كما لو أنها تقرؤها من صحيفة.. قالت سبب وجودها هنا هو الألم، وعانت كثيراً معه وسببه أمر بسيط، "ولكن التغافل أوصلني إلى هذه الحالة"، تقول مِي فاطنة أنها ذهبت في يوم من الأيام إلى المستشفى العمومي من أجل حقنة دوائية، لكن التي نفذت هذه الإبرة الدوائية أخطأت.. ومع مرور الأيام تحجّر مكانها، ولم تكن في البداية تحس بأي ألم، لكن مع مرور الأيام.. والشهور.. والسنين.. أصبحت متحجرة أكثر وتحس بالألم.

أخبرت أولادها بذلك، وكلّ يسوّف بالعلاج، إلا أن الذي يحس بالألم هو وحده من يعرف قدره ودرجته..

لذلك اضطرت في النهاية بما لديها من نقود أن تجري العملية بمساعدة ابنتها البارة، لأن أولادها غير مهتمين بها.. ويظهر ذلك جلياً من هذا المشهد؛ لما سمع أولادها بأن والدتهم في المصحّة..

فزعوا إلى المستشفى، لكنهم عندما دخلوا على أمهم دخلوا بكل برود، سلموا عليها عن بُعد وكأنها مريضة بسل أو داء الكلب أو أن بها جرباً معدياً، أو قُل على أقل تقدير: كأني إنسان آخر..

ثم جلسوا هناك في الكراسي، في حين أن إبراهيم وزوجته عندما دخلا إلى الغرفة اقتربا منها وسلمتا عليها وسألاها عن حالتها الصحية، واستأنست بهما أكثر من استئناسها بأولادهما..

ما جمعته من مال أرادت أن تقتلع به هذا الألم من جذوره لتراتح... تعايشت مع الألم ما يكفي من الزمن..

أنزلت الممرضة زوجة إبراهيم إلى قاعة العمليات بلباس خاص، واستودعها الله، ودعا معها بنجاح العملية، وعاد إلى القاعة حيث مي فاطنة بمعية بنتها في الانتظار..

تجاذب معها أطراف الحديث، فارتاحت إليه واستأنست به...

سألت أسئلة كثيرة لتتعرف عليه أكثر:

من أي منطق أنت؟ أخبرها أنه من الجبل وهي من الوسط.. هذا ما كنت أظنه.. لم يخيب الله ظني فيكما.. فخلالكما وطيتكما تدل على ذلك، أنتما على طينة نقية تحبون الخير.. تألفون وتؤلفون.. نعم الناس أنتم في الجبل.. أهل خير وكرم.

اطمأنت روحها هذه الجلسة، فسردت حكاياتها مع أبنائها وزوجاتها، وأهن طردها من بيت أولادها، فاضطرت أن تعيش مع إحدى بناتها المتزوجات، وحظيت بدفء أحسن مما كانت عليه..

حان دورها الآن للتزول إلى قاعة العمليات.. كانت خائفة جداً، بدأت تستعطف إبراهيم كما يفعل الطفل الصغير عندما تسوقه أمه ليستحم، ثم قالت: دعواتك بُني، فقد أعيش أو لا أعيش!

رفع الرجل أكفَّ الضراعة سائلاً المولى -عز وجل- لها نجاح العملية واستئصال الورم..

بعد ساعات أجرت العملية... لكنها عندما استفاقت وجدت ساقها ميتة.. فأصيبت بهلع وخوف شديدين.. جاء الطبيب الجراحطمأنها وقال لها أنها مسألة وقت ليس إلا، وكل شيء سيكون بخير.. سكنت وسكن الألم، وعادت الدماء تجري في عروقها..

عادت زوجة إبراهيم إلى قاعة خاصة، ومي فاطنة في قاعة أخرى، لكن القليل الذي حدث بينهما جعل كل طرف لا يأكل طعاماً إلا يشارك الآخر.. وكل واحد يسأل عن الحال الصحية للآخر..

أخذ من المريضتين عينات للتحليل، وبعد أسبوع جاء إبراهيم ليأخذ النتيجة، فإذا به يُفاجأ بالسيدة وبتنها في قاعة الانتظار لنفس

الغرض.. تسلم إبراهيم النتيجة أنها سلبية، حمد الله وشكره، ثم انتظر دور "مي فاطنة"، خرج الطبيب يحمل الظرف في يده، رمق الحاضرين ببصره، ثم ناداها باسمها، قامت إليه بنتها لتسلم الظرف؛ لكن الطبيب أراد أن يتأكد من علاقة القرابة بينهما..

دخل معها إلى إحدى قاعات الفحص، ثم أخبرها بالخبر الصاعقة: "التحاليل إيجابية، لا أخفيك سرًا، إنه ورم سرطاني غير حميد..!"

جمدت في مكانها، ثم تصنعت الابتسامة؛ لأن أمها كانت تراقبها عن كثب.. قالت الأم: "ماذا هناك؟" وكأنها قرأت المشهد وحللت مضامينه.. قالت البنت: لا شيء أُمي، الحمد لله.. التحاليل سليمة. قالتها والألم يعصر منها الفؤاد على أمها المسكينة، فإن رحلت عنها فستكون وحيدة.. طريدة.. مهانة..

سقطت الدموع من عينيها كحبات البرد.. استدارت عن أمها ثم مسحت خديها بخمارها.. قصدها إبراهيم، استفسر.. تعرف على الوضع ثم قال: "لاحول ولا قوة إلا بالله.. اللهم كن معها يا رب واشفها أنت الشافي.."

سألها كيف كانت المرأة الأسبوع الماضي، فأخبرته أن الجرح لم يندمل بعد، وما يزال يسيل قيحًا ويتزف دمًا..!

"السرطان" قد انتشر في جسدها وأضعف مناعتها.. توجه إبراهيم إلى السيدة موسىاً ومسلماً ومعزياً.. مستلهماً ذلك من قول الشاعر:

ولابد من شكوى إلى ذي مروءة يواسيك أو يسليك أو يتوجع⁽¹⁾

بعد ثلاثة أشهر من العلاج الكيميائي والأشعة تدهورت حالتها الصحية.. وفارقت الحياة مجيبة داعي الله.

﴿وَمَنْ لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ..﴾ سورة الأحقاف، من الآية 32.

الموتُ بابٌ وكلُّ الناسِ داخلُهُ

والموتُ كأسٌ وكلُّ الناسِ شاربه

صبرت على آلامها والأمل يحدوها للشفاء، لكن قُدرة الله فوق كل شيء.

(1) البيت لبشار بن برد.

ومن عجائب هذه المرأة القوية أنها كانت تحتضر وكانت تسأل عن إبراهيم وزوجته: "كيف حالهما؟ إنهما طيبان، وددت لو كانا عندي هنا..." حتى فاضت روحها، رحمها الله رحمة لا تنقطع، وأسكنها جنة الفردوس الأعلى.



القصة الخامسة

أب مراكشي.. لقاء في المستشفى..

في صالة الانتظار والعيون تحدق نحو ممرضة تحمل في قبضتها ملفات المرضى.. يجلس الناس متهيئين لتلبية النداء عندما يحين دورهم، جلس المختار إلى جانب زوجته راضية ينتظران دورهما.. دخل رجل ستيبي ضعيف البنية يُهادى⁽¹⁾ بين شاين، يجر قدميه وقد أنهكه المرض إنهاكا على مستوى الجسد؛ رعشة قوية، يكاد رأسه لا يستقر على وضع، وفواق يتكرر مرات كثيرة في الدقيقة الواحدة بدون توقف.. أكيد أن وراء كل هذا مرضاً شديداً، ولكنه لم يصل إلى قلبه.. ففيه صفة من النبي أيوب الصابر المحتسب عليه الصلاة والسلام..

لسانه يلهج بالذكر والدعاء.. وفي لحظات يسيرة من جلوسه على الكرسي استأنس بالسيد المختار.. فالأرواح جنود مجنّدة، فما

(1) يُهادى أي يمشي بينهما معتمداً عليهما؛ يمسان جانبيه بعضديه يعتمد عليهما. قال ابن منظور في لسان العرب: يهادي بين رجلين... معناه كان يمشي بينهما يعتمد عليهما من ضعفه وتمايله. لسان العرب الجذر: ه د ي.

تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف، وهذا يعني أن الأجساد إذا تلاقت في الدنيا ائتلفت واختلفت بحسب ما خلقت عليه، فيميل الأختيار إلى الأختيار، والأشرار إلى الأشرار⁽¹⁾.

خرج المختار من القاعة لإجراء مكالمة هاتفية، فبدأ سي محمد يرمقه ببصره ويصارع رأسه المتناقل ليسير خلفه ببصره حتى خرج من الباب المفتوح على مصراعيه.. وعاد إلى وضعه السابق، فأوماً برأسه نحو زوجة المختار "راضية" أن ضعي شيئاً على كرسي زوجك حتى لا يجلس فيه أحد.

ما هي إلا لحظات حتى عاد المختار إلى مكانه فأكمل مع جلسه الحديث.. إلى درجة البوح بسر مرضه.. قال: "شربت في المطعم المجاور لمقر عملي كأس عصير، فأحسست منذ تلك اللحظة بألم لا يقاوم على مستوى المعدة.. حسداً يكون قد وضع له شيئاً مسموماً في الكأس، وأردف قائلاً: "أنا أعرفه حق المعرفة، وكما يُقال باللسان الدارج: "جاركُ فالْحَرْفَةُ عَدُوْكُ"

اعتدى عليّ، فحسبي الله ونعم الوكيل!

(1) إشارة إلى حديث النبي ﷺ الذي رواه أبو هريرة وأخرجه الإمام مسلم، كتاب البر والصلة، رقم: 2638 بشرح الإمام النووي.

حان دور سي محمد رفقة ابنه أن يقوموا إلى قاعة الفحص بالتصوير المقطعي -السكانير- بينما ظل المختار مع زوجته ينتظران حتى فرغت القاعة؛ فاستفسرا فإذا بهما جاءا قبل الموعد بيوم واحد.. كأن القدر ساقهما ليتعرفا على هذا الرجل قبل الرحيل، ويتبادلوا الدعوات بالشفاء والصبر على البلاء..!

كان الخبر كالصاعقة من ابن سي محمد: أخي المختار خرجنا للتو من "السكانير" فكانت النتيجة سلبية.. للأسف!

.. أبي مصاب بالسرطان على مستوى الكبد والرئة.. حوّل المختار وتضرع إلى الله أن يخفف عنه ما نزل..

تتبع حالته على الهاتف، لطالما كان يطلب ويستعطف ابنه ألا يقبل بالعلاج الكيميائي "الشيبيو" ..

فلا يريد أن يتألم أكثر.. وهو رجل بلغ من الكبر عتياً.. وضاعف المرض عمره نصفين، وكان ابنه يقول: "يكون خير.. يكون خير.." يرضي بها السائل؛ لكنه مصمم العزم على العلاج، حتى ولو كان الدواء بروتوكولاً بالأشعة.. فقط يبحث عن العلاج بأي ثمن.

هذا يفعله فقط من عرف مقام الوالدين ومن عاش تحت جناحيهما الدافنين.. ويستوصي بهما خيراً كما أمر القرآن الكريم: ﴿وَإِخْفِضْ

لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا
(24) ﴿سورة الإسراء، الآية 24.﴾

مضى وقت غير يسير، وسي محمد بين البيت والمستشفى.. يذهب به ابنه ليستفيد من حصة العلاج.. لكن الطبيب المعالج يرفض ذلك بحجة ضعف مناعته.. ظلت حالته كذلك زمناً، وكان آخر عهده بالمستشفى لما أحس بتعب شديد واختناق على مستوى التنفس، استفاد من حصة التنفس الاصطناعي، فلما تحسنت حالته أعاده ابنه إلى البيت منتظراً الفرج من الله تعالى.

وفي صبيحة أحد الأيام قبل أن يغادر ابنه البيت للعمل قال له: أبي، هل لك عندي حاجة؟ تتمم وهو متعب: "الله يرضى عليك يا ولدي".

تدهورت حالته فبدأ يعالج سكرات الموت.. حملة ابنه على جناح السرعة إلى المستشفى، لكن اختارته السماء ضيفاً عزيزاً.. فهل يرفض ضيافة بارئها؟ إنا لله وإنا إليه راجعون.



خاتمة

هذه القصص تبعث في الإنسان روح الرضا بالقضاء والقدر،
ويتشبه المرء فيها بالكرام.

وإن التشبه بهم فلاحٌ وصلاحٌ.. لا يجيب من جعل النبي أيوب -
عليه السلام- قدوته، في الصحة والمرض، في الغنى والعيلة، فإن
فقدت نعمة فاحمد الله مثلهم على النعم الأخرى.

فمن كانت هذه خلاله عاش طيب القلب مرتاحاً، ومات سليم
اللسان لأمر الله منصاعاً، فالكيس في هذا المقام من أخذ العبرة من
هؤلاء "أصحاب الابتلاء"، وطلب من الله العفو وحسن الخاتمة.

نهاية.. البداية.. وبداية النهاية

أسرار الألم: قصص واقعية في قالب أدبي يستهوي القارئ، ليستمتع
بالأحداث، ويتعظ ويعتبر.. ينمي لديه القناعة من هذه الحياة الدنية،
وتقفو نفسه للحياة الحقيقية هناك في الجنان.. اهـ



دار بسمة للنشر الإلكتروني

دار مغربية، رقمية، تأسست في 2017

دار بسمة للنشر الإلكتروني من أهدافها مساعدة الشباب المغاربة والعرب على نشر إبداعاتهم، وإيصال أصواتهم وتغريداتهم إلى العالم كله، كما تطمح لاكتساح عالم النشر الإلكتروني في كل الأقطار العربية..

كما أننا - في محاولة منا لتغذية شريان الثقافة - نسترشد بالضمير الحي من أجل نشر المحتوى الثمين، حاملين على كواهلنا رسالة التنوير الحقيقي، ومدركين كل الإدراك لقيمة القلم النبيلة، لذلك كنا حريصين على نشر كل ما هو قيم. في دار بسمة للنشر الإلكتروني نساند المؤلفين وندعمهم لإيصال إبداعاتهم لملايين من القراء، ونرشدهم إلى آليات فنية تعينهم على تحسين أساليب الكتابة والإبداع. وتقريباً لهذه الغاية تقوم الدار بتنظيم مسابقات متعددة، والإشراف عليها مجاناً من أجل اكتشاف المواهب الشابة التي تستحق أن تُنشر أعمالها بين القراء والمثقفين، وذلك تشجيعاً لهم على الاستمرارية في الكتابة الإبداع.



المحتويات



- الإهداء 6
- تقديم 9
- سر الأُم مع النبي "أيوب" عليه السلام: 15
- الرجل المحبوب.. والصراع مع الأُم..... 19
- فاطمة.. امرأة من عيار ثقيل..... 28
- حفيظة، الروح الطاهرة..... 33
- الرشيد عبد الله.. الشاب الطيب..... 39

44 لقاء في المصححة.. أمّي فاطنة

51 أب مراكشي.. لقاء في المستشفى

55 خاتمة





أحمد باززا من مواليد 01/01/1976 بميررت إقليم خنيفرة
أستاذ التعليم الابتدائي: بمدينة العطاوية - إقليم قلعة
السراغنة
حاصل على الإجازة في الدراسات الإسلامية.
حاصل على تزكية في الخطابة.
مستشار تربوي سابق في برنامج محو الأمية بالمساجد
"الاندراغوجيا".

من إنتاجاته:
كتاب القربان في الأديان.
باكورة التين: من الكتاب المسطور إلى الكون المنظور
إسهامات متعددة في مواقع ومجلات.

أسرار الألم

أضع بين يديك أيها القارئ مجموعة قصصية ستجعلك في الطريق الصحيح -إن شاء الله- لتتعلم
كيف لا تتألم..
إن نقل الواقع بلغة الأدب أفضل بكثير من نقل الخيال بلغة الواقع؛ فكون القصة من أحسن القصص
يرجع إلى أمرين: التزام الواقعية، وتوخي العظة والعبرة.
قصة النبي أيوب مرجع أصيل لحمل المريض على الصبر والتزام الرضى..
إن الإحساس بالآخزين لن يتأتى لك إلا إذا كنت معهم.. إلى جانبهم تشهدهم في مواقف مختلفة،
فتفرج لأفراحهم، وتتأثر لأحزانهم. وعندما ترحل معهم في رحلة المرض تقتنع أنها تجربة تضعك
أمام الأمر الواقع.. فيصبح الألم مألوفا لديك فتعرف ما معنى أن تعود مريضا وتؤنس قليلا ..
الطييون من يحتسبوا ألم المرض ويصبروا.. فجوائزهم عند بارئهم بغير حساب ..
الطييون يرحلون سراعاً. نفتقدهم، نحس بفراقهم .. ويتركون فراغاً كبيراً في حياتنا، ولقد صدق الرسول
الكريم حين قال: "مستريح ومستراح منه..."
مستريح من تعب الحياة الدنيا وآلامها.. رغم أنه يترك خلفه حزناً عميقاً لدى أقربائه وأصدقائه..
أما المستراح منه، فمرمز لمن نكد حياة الآخزين وأساء إليهم واعتدى عليهم فيستريحون لرفاقه العبد
المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد،
والسجن والدواب. الموطأ /الرقائق حديث رقم 5435.
قصص أبطالها أعدهم على رؤوس الأصابع .. بعضهم من قرابتي والبعض من صداقتي والبقية
ساقهم القدر في طريقي..

بسم الله الرحمن الرحيم
من رحمة
الله



bassmabook X @ f
00212771814934
bassmabook@gmail.com